بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠٢٥/٧/١٨ الموافق ٢٣ المحرم ١٤٤٧ هـ

الحَذَرُ مِنَ الإفْتاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

الحمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَكُنْ يَعْلَم، وقَيَّضَ لِهَذا الدِّينِ رِجالًا يُفْتُونَ بِعِلْمٍ فَإِذا لَمْ يَعْلَمُوا لَمْ يُغْفِلُوا لا أَعْلَم، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ومَن يُضْلِلْ فَلا هادِيَ لَه، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ولا شَيْءَ مِثْلُهُ ولا شَيْءَ يُعْجِزُه، لا تَبْلُغُهُ الأَوْهامُ ولا تُدْرِكُهُ الأَفْهامُ ولا يُشْبِهُ الأَنام.

وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ الْمُصْطَفَى ونَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى ورَسُولُهُ الْمُرْتَضَى، وأَنَّهُ خاتَمُ الأَنْبِياءِ وإِمامُ الأَتْقِياء، وسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وحَبِيبُ رَبِّ العالَمِين. فَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وعَلى ءالِهِ الطاهِرِينَ وصَحابَتِهِ الطَّيِّبِينَ وسَلَّم.

أَمّا بَعْدُ، فَأُوصِي نَفْسِيَ وأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ أَلاَ فَاتَّقُوهُ وخافُوهُ وَأْتَمِرُوا بِأَوامِرِهِ وانْتَهُوا عَنْ نَواهِيهِ واثْبُتُوا عَلى هَدْيِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسْلِيم.

اعْلَمُوا إِخْوَةَ الإِيمانِ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالى سائِلٌ عَبْدَهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْ كَلامِهِ وسَمْعِهِ وبَصَرِهِ وفُؤادِهِ وأَنَّ اللهَ سائِلٌ عَبْدَهُ عَنْ قَوْلِهِ في الدُّنْيا هَذا يَجُوزُ وهَذا لا يَجُوزُ فَقَدْ قالَ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى في القُرْءانِ الكَرِيمِ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1] أَيْ لا تَقُلْ قَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَالفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنَ الكَبائِر، رَوَى الحافِظُ ابْنُ عَساكِرَ[2] أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ **مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** اهـ فَإِذا كانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ إِخْوَةَ الإِيمانِ فَما مَعْنَى أَنْ يُفْتَى بِعِلْمٍ، وَاسْمَعُوا مَعِي فَإِنَّ الَّذِي يُفْتِي إِمّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا أَوْ مُقَلِّدًا في الفُتْيَا لِمُجْتَهِدٍ وإِمّا أَنْ يَكُونَ مُتَجَرِّئًا عَلَى الفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْم. أَمّا الْمُجْتَهِدُ فَهُوَ مَنْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الاِجْتِهادِ أَيْ مَنْ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ بِناءً عَلى صِفاتٍ مُعَيَّنَةٍ وشُرُوطٍ لا بُدَّ أَنْ تَجْتَمِعَ فِيه، وهِيَ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً في أَغْلَبِ أَهْلِ العَصْر. قالَ الإِمامُ الشافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ ولا

[1] سورة الإسراء /ءاية ٣٦.

[2] معجم شيوخ ابن عساكر.

يَكُونُ الشَّخْصُ أَهْلًا لِلِاجْتِهادِ حَتَّى يَكُونَ عالِمًا بِما مَضَى قَبْلَهُ مِنَ السُّنَنِ وأَقْوالِ السَّلَفِ وإِجْماعِ النّاسِ واخْتِلافِ العُلَماءِ حَتَّى لا يَخْرِقَ الإِجْماعَ وأَنْ يَكُونَ عالِمًا بِلُغَةِ العَرَبِ ومَعانِي ما وَرَدَ في النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى وَفْقِ كَلامِ العَرَب. ويُشْتَرَطُ في الْمُجْتَهِدِ أَنْ يَكُونَ حافِظًا لِآياتِ الأَحْكامِ وأَحادِيثِ الأَحْكامِ ومَعَ مَعْرِفَةِ أَسانِيدِها ومَعْرِفَةِ أَحْوالِ رِجالِ الإِسْنادِ ومَعْرِفَةِ النّاسِخِ والْمَنْسُوخِ والعامِّ والخاصِّ والْمُطْلَقِ والْمُقَيَّدِ مَعَ فِقْهِ النَّفْسِ أَيْ قُوَّةِ الفَهْمِ والإِدْراكِ ومَعَ العَدالَة، فَمِثْلُ هَذا إِنْ أَفْتَى يُفْتِي عَلَى حَسَبِ اجْتِهادِه. وأَيْنَ يُوجَدُ مَنْ يَجْمَعُ كُلَّ هَذِهِ الصِّفاتِ في هَذا الزَّمَن، وأَمّا إِذا لَمْ يَكُنِ الشَّخْصُ بِهَذِهِ الصِفاتِ فَيَعْتَمِدُ عَلَى فَتْوَى إِمامٍ مُجْتَهِدٍ أَيْ يَنْقُلُ قَوْلَ الْمُجْتَهِدِ في الْمَسْأَلَة. وأَمَّا مَنْ تَسَوَّرَ مَرْتَبَةً لَيْسَ أَهْلًا لَها فَصارَ يُفْتِي الناسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، صارَ يُفْتِي الناسَ عَلى وَفْقِ هَواهُ فَهُوَ خائِبٌ خائِنٌ يَفْضَحُهُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى في الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ كَما قالَ إِمامُنا الشافِعِيُّ رضي الله عنه مَنْ سامَ بِنَفْسِهِ فَوْقَ ما يُساوِي رَدَّهُ اللهُ تَعالى إِلى قِيمَتِه[٣] اهـ

فَإِيّاكُمْ والفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ رِجالًا ونِساءً ولا تُغْفِلُوا لا أَدْرِي فَإِنَّ لا أَدْرِي نِصْفُ العِلْمِ وإِنَّ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةً حَسَنَةً فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ خَيْرِ البِقاعِ وشَرِّها فَقالَ **لا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ** ثُمَّ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِأَنَّ خَيْرَ البِقاعِ الْمَساجِدُ وشَرَّ البِقاعِ الأَسْواقُ[٤]. وإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبابِ في انْتِشارِ الجَهْلِ والْمَفاهِيمِ الخاطِئَةِ بَيْنَ النَّاسِ الفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ واسْتِفْتاءَ النَّاسِ لِجَهَلَةِ القَوْمِ وأَدْعِياءِ العِلْمِ فَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الثابِتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم **إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَماءِ حَتَّى إِذا لَمْ يُبْقِ عالِمًا اِتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَساءَ جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**[٥] اهـ فَلَمْ يَجْعَلْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في هَذا الحَدِيثِ عُذْرًا لِلْمُفْتِي ولا لِلْمُسْتَفْتِي فَأَمَّا الأَوَّلُ فَلِأَنَّهُ أَفْتَى بِجَهْلٍ وأَمَّا الثانِي فَلِأَنَّهُ اسْتَفْتَى مَنْ لا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْتَفْتَى وقَدْ قالَ الحافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لا يَجُوزُ اسْتِفْتاءُ غَيْرِ العالِمِ الثِّقَةِ[٦] اهـ

[٣] المجموع شرح المهذب ١/١٣.

[٤] رواه البيهقي في السنن الكبرى.

[٥] رواه البخاري في صحيحه.

[٦] ذكره في مقدّمة المجموع.

فَطَرِيقُ السَّلامَةِ أَنْ يُحْرِزَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يُفْتِيَ وأَنْ يَعْرِضَها عَلَى الجَنَّةِ وعَلَى النارِ ثُمَّ إِنْ كانَ الجَوابُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ واضِحًا عِنْدَهُ وُضُوحَ الشَّمْسِ وَسَطَ النَّهارِ أَجابَ وإِلَّا فَلَا. ولَا يُفْتِي بِرَأْيِهِ وهَواهُ فَإِنَّ مَنِ اتَّبَعَ الهَوَى هَوَى.

وكَمْ نَجِدُ في هَذهِ الأَزْمانِ أُناسًا لا يَرْجِعُونَ إِلى الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، لا يَرْجِعُونَ إِلى نُصُوصِ القُرْءانِ والحَدِيثِ ولا إِلى أَقْوالِ العُلَماءِ الْمُجْتَهِدِينَ في الإِفْتاءِ وإِنَّما يُفْتُونَ بِما تَمِيلُ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ ويَزِنُونَ ذَلِكَ بِمَوازِينَ زَيَّنَها لَهُمْ قُرَناؤُهُمْ مِنَ الشَّياطِين. فَإِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.

اَللَّهُمَّ احْفَظْ عَلَيْنا دِينَنا الَّذِي بِهِ عِصْمَةُ أَمْرِنا واجْعَلْنا مِنَ الوَقَّافِينَ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ وأَحْسِنْ خَواتِيمَنا يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين. هَذا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لي ولَكُم.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين، نَعْبُدُهُ تَعالى ونُقَدِّسُهُ ونُمَجِّدُهُ، لا إِلَهَ غَيْرُه، ولا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِواه، مالِكُ الْمُلْكِ، يَهْدِي مَنْ يَشاءُ ويُضِلُّ مَنْ يَشاء، لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُون. نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمَّدٍ الصادِقِ الأَمِينِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ وعَلى جَمِيعِ إِخْوانِهِ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِين. ورَضِيَ اللهُ عَنْ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنِينَ وءالِ البَيْتِ الطَّاهِرِينَ وعَنِ الخُلَفاءِ الراشِدِينَ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ وعَلِيٍّ وعَنِ الأَئِمَّةِ المُهْتَدِينَ أَبي حَنيفَةَ ومالِكٍ والشافِعِيِّ وأَحْمَدَ وَعَنِ الأَوْلِياءِ والصَّالِحِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ بِتَقْوَى اللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ أَلَا فَاتَّقُوهُ واعْلَمُوا أَنَّنا مَسْؤُولُونَ عَمّا نَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ قالَ اللهُ تَعالى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[٧]. عِبادَ اللهِ إِنَّ الفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كَبائِرِ الذُّنُوبِ وقَدْ تَصِلُ بِصاحِبِها إِلى الكُفْرِ أَعاذَنا اللهُ مِنْهُ وخَتَمَ لَنا عَلَى كامِلِ الإِيمان.

Sachez, chers frères de foi, que *Allah soubhanahou wata^ala* interroge Son esclave au Jour du jugement sur l'usage qu'il aura fait de sa parole, de son ouïe, de sa vue et de son cœur et sur le fait d'avoir dit dans le bas monde : « telle chose est permise » et « telle chose n'est pas permise. » Notre Seigneur *tabaraka wata^ala* dit dans le *Qour'an* Honoré ce qui signifie : « **Ne dis pas des**

[٧] سورة ق / ءاية ١٨.

choses dont tu n'as pas connaissance ; certes l'ouïe, la vue et le cœur, sur chacun d'eux l'esclave sera interrogé à leur sujet » c'est-à-dire : ne dis pas des paroles sans science. Ainsi, donner des avis – *fatwa* – sans science, fait partie des grands péchés.

Le *Hafidh Ibnou ^Açakir*, dans *Mou^jam Chouyoukhi bni ^Açakir*, a rapporté que le Messager de Dieu ﷺ a dit ce qui signifie : « ***Celui qui donne un avis sans science, les anges du ciel et de la Terre le maudissent.*** »

S'il en est ainsi, chers frères de foi, alors, que veut dire donner un avis avec science ? Soyez bien attentifs à ce que je vous dis : celui qui donne un avis – une *fatwa* –, soit il est lui-même un savant du plus haut degré capable de déduire les jugements à partir des textes, et c'est donc un *moujtahid*, soit il ne l'est pas, et c'est donc un *mouqallid* qui doit se limiter aux *fatwa* d'un *moujtahid*, soit c'est quelqu'un qui ose donner des jugements sans science.

Un *moujtahid*, c'est quelqu'un qui a l'aptitude à faire l'*ijtihad*, c'est-à-dire qu'il lui est permis de le faire en fonction de qualités bien précises et de conditions bien particulières qu'il lui est indispensable de réunir en lui. Or ce sont des qualités et des conditions qui ne sont pas présentes chez la majorité des gens de cette époque.

Quant à celui qui prétend avoir un degré qu'il n'a jamais atteint, et qui se met à donner aux gens des jugements sans science, il se met à donner des jugements qui correspondent à son avis personnel et à ses passions, c'est quelqu'un qui va à sa perte, un traître que *Allah tabaraka wata^ala* dévoilera dans le bas monde avant l'au-delà, tout comme notre Imam *Ach-Chafi^iyy*, que Dieu l'agrée, a dit : « *Celui qui se place lui-même au-dessus de sa propre valeur, Allah ta^ala le ramènera à sa juste valeur*. »[8]

Vous avez en la personne du Messager de Dieu un excellent modèle, puisque dans le *hadith*, un homme avait interrogé le Prophète ﷺ à propos du meilleur des endroits et du pire des endroits et le Messager ﷺ avait répondu ce qui signifie : « ***Je ne sais pas, jusqu'à ce que je demande à Jibril***. » Puis la révélation est parvenue au Messager de Dieu ﷺ que les meilleurs des endroits sur Terre sont les mosquées et que parmi les pires des endroits sur Terre, il y a les marchés.

Parmi les causes majeures de la diffusion de l'ignorance et des mauvaises compréhensions chez les gens, il y a justement le fait de donner des *fatwa* sans science et de demander des *fatwa* aux ignorants et à ceux qui prétendent la science. Dans le *hadith sahih*, authentifié, du Messager de Dieu ﷺ, il y a ce qui signifie : « ***Dieu n'enlève pas la science en l'arrachant*** [du cœur] ***des esclaves, mais Il enlève la science en faisant mourir les savants, au point que lorsqu'il n'en restera plus aucun, les gens éliront à leur tête des ignorants qui seront interrogés et qui répondront en donnant des avis sans science ; ils s'égareront ainsi et ils égareront autrui.*** »

Le Messager de Dieu ﷺ, dans ce *hadith*, n'a pas donné d'excuse à celui qui donne des avis sans science, ni à celui qui demande des avis à un ignorant. Le premier en raison du fait qu'il a donné des avis sans science ; le deuxième parce qu'il a demandé à celui qui ne mérite pas d'être interrogé. Le *Hafidh An-Nawawiyy*, que Dieu lui fasse miséricorde, a dit : « *Il n'est pas permis*

[8] Voir le *Majmou^*, Commentaire du *Mouhadhdhab*, tome 1 page 13.

de demander la fatwa à quelqu'un d'autre qu'à un savant digne de confiance. » Ceci a été cité dans l'introduction de *Al-Majmou^*.

La voie de la sauvegarde, c'est de se préserver d'abord nous-mêmes, avant de donner un avis de jurisprudence, et de nous rappeler que nous avons devant nous le Paradis et l'enfer. *Allah ta^ala* dit ce qui signifie : « **L'esclave ne prononce pas une parole sans que soient auprès de lui *Raqib* et *^Atid*.** » Esclaves de *Allah*, le fait de donner un avis religieux sans science fait partie des grands péchés et risque de conduire celui qui se laisse aller à le faire à la mécréance, que *Allah* nous en préserve et nous accorde de terminer notre vie sur la foi complète.

إِخْوَتِي في الله، إِنَّ اللهَ تَعالى أَمَرَنا في كِتابِهِ الكَرِيمِ بِالصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَى نَبِيِّهِ العَظِيمِ فَقالَ وهُوَ أَصْدَقُ القائِلِينَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[٩]. اَللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى ءالِ سيدِنا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ على سيِّدِنا إبراهيمَ وعلى ءالِ سيِّدِنا إبراهيمَ وبارِكْ على سيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى ءالِ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ كَمَا بارَكْتَ على سيِّدِنا إبراهيمَ وعلى ءالِ سيِّدِنا إبراهيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اَللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْناكَ فاسْتَجِبْ لَنَا دُعاءَنَا فاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنا ذُنوبَنَا وَإِسْرافَنا في أَمْرِنا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ الأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالأَمْواتِ رَبَّنا ءاتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُداةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضالِّينَ وَلا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتِنا وَءَامِنْ رَوْعاتِنا وَاكْفِنا ما أَهَمَّنا وَقِنَا شَرَّ ما نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ الهَرَرِيَّ رَحَماتُ اللهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبادَ اللهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللهَ العَظِيمَ يُثِبْكُمْ وَاشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنَ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلاةَ.

[٩] سورة الأحزاب /ءاية ٥٦.